

السعودية تعرّض التفاهم: خسرنا مأرب!

التغيير

مع استشعارها قرُب خروج الأمور عن السيطرة تماماً في محيط مدينة مأرب، تشتعل المملكة على خطٍّ التفاف جديدة، عمدتها استنساخ "اتفاق استوكهولم" الخاص بمدينة الحُديدة، بهدف حفظ مركز محافظة مأرب من السقوط، مقابل تسهيل حلحلة الملفَين الإنساني والاقتصادي. لكن قيادة صنعاء، التي لا تفت أخطئ قواتها القائمة على القضم التدريجي لأهمِّ المعاقل الجبلية تُثبت نجاحاً، تبدي تحفظاً كبيراً على أيٍّ مبادرات في الاتِّجاه المذكور، خصوصاً أن تجربة الحديدية "المريبرة" لا تزال ماثلة للعيان

بعد فشل مفاوضات مسقط الأخيرة بين "أنصار الله" والجانديين الأميركي والأممي، والتي استحوذت الوضع في محيط مدينة مأرب على حيّز كبير منها، تحرّكت أكثر من وساطة دولية ومحليّة، في محاولة أخيرة لمنع سقوط المدينة ومعها حقول النفط والغاز بأيدي قوات صنعاء. يأتي ذلك فيما يستعدُّ الطرفان، على ما

يبدو، لمعركة حاسمة في الأيام المقبلة، يحشد كلّ منها إمكاناته لها، في ظلّ نجاح خطّة الجيش و"اللجان الشعبية" القائمة على القضم التدريجي لأهمّ المعاقل الجبلية قبل الوصول إلى مركز المحافظة. وهو نجاح جعل المملكة تستشعر خطورة الموقف العسكري، ولا سيما مع تداعي خطوط دفاع وكلائها المحيطة بالمدينة، ولذا عمدت إلى تنفيذ عملية لوجستية مزدوجة تمثّلت، من جهة، في سحب مدرّعات وآليات عسكرية وتكنولوجية خشية غنائمها من قبّل قوات صنعاء؛ ومن جهة أخرى، في تعزيز الجبهات بأسلحة مختلفة لا يُشكّل غنائمها حرجاً كبيراً للرياض.

وعلى إثر ذلك، وصل المبعوث السويدي إلى اليمن، بيتر سيمبني، عصر أول من أمس، إلى مدينة مأرب، حاملاً مبادرة جديدة، تستلهم، في بعض نقاطها، المبادرة التي كان قد تقدّم بها رئيس "المجلس السياسي الأعلى" في صنعاء، مهدي المشاط، خريف العام الماضي، ولم يُكثّف التحالف نفسه حتى عن الردّ عليها. وتستهدف خطّة سيمبني، الذي استبق زيارته هذه بإجراء مقابلة صحافية تحدّث فيها عن إمكانية تطبيق اتفاق مشابه لـ"اتفاق الحديدة" (الذي وقع في بلاده في أواخر عام 2018) في مأرب، إلى وقف إطلاق النار في كلّ جبهات المحافظة لـ"أغراض إنسانية"، على أن يلي ذلك إبرام تفاهمات مماثلة لـ"تفاهمات استوكهولم"، مكونة من بنود إنسانية وأخرى اقتصادية وعسكرية. وكان المبعوث السويدي قد ناقش تلك المقترنات مع وفد صنعاء المفاوض في سلطنة عُمان الأسبوع الماضي، غير أن معلومات "الأخبار" تشير إلى تحفّظ "أنصار الله" على بعض النقاط في مبادرته، وخصوصاً أن الرجل لم يستطع تقديم ضمانات بإنجاح أيّ من بنودها، فضلاً عن أن تجربة "اتفاق استوكهولم" غير مشجّعة بالنسبة إلى حكومة الإنقاذ التي لا تزال تعاني من الحصار.

مع ذلك، جدّدت صنعاء، على لسان عضو "المجلس السياسي الأعلى"، محمد علي الحوثي، ترحيبها بأيّ مسعى دبلوماسي لإحلال السلام ورفع معاناة الشعب اليمني، مؤكدةً تلقّيها نسخةً من المقترنات السويدية، وأنها تعكف على دراستها. وفي الإطار نفسه، أشار مصدر سياسي مقرّب من "أنصار الله"، في حديث إلى "الأخبار"، إلى أن "صنعاء لم ترفض أيّ مبادرات أو مقترنات مسبقاً، وهي ترحب بكلّ مساعي السلام، وتُخضع أيّ رؤى أو مقترنات للحلّ السلمي، للنقاش، وتقدّم ملاحظاتها في شأنها". ولفت المصدر إلى أن "المساعي السويدية تهدف إلى نسخ تجربة وقف إطلاق النار الهشّ في الحديدة"، مُذكّراً بأن "اتفاق الحديدة تضمّن جوانب إنسانية وأخرى عسكرية وأمنية واقتصادية، ولم يُنفّذ من تلك البنود سوى وقف إطلاق النار"، فيما "الكثير من اتفاق استوكهولم لا ينطبق على مأرب". يُذكر أن "تفاهمات استوكهولم" رسمت خريطة طريق واضحة المعالم لوصول البينانع والمشتقات النفطية إلى ميناء الحديدة، وقد وافقت صنعاء آنذاك على نقل آلية التفتيش الأممية من جيبوتي إلى الميناء المذكور، وإنشاء حساب مصرفي لعائداته في المحافظة الساحلية، على أن توضع مع عائدات المرافق الأخرى لمصلحة رواتب

الموظفين، غير أن المملكة لا تزال ترفض تطبيق الاتفاق حتى تُبقي ورقة الحصار بيدها.

وجاءت زيارة المبعوث السويدي لمدينة مأرب، ولقاوئه محافظها المحسوب على "حزب الإصلاح" سلطان العرادة، في ظلّ "المساعي الدولية لـ"إنقاذ" آخر معاقل نفوذ آل سعود في اليمن. وكان التحالف قد لجأ إلى التهويل في شأن سقوط المدينة تحت سيطرة الجيش واللجان"، على اعتبار أن ذلك سيدفع "أنصار الله" إلى نقل المعركة إلى المحافظات الجنوبية، حيث توجد قوّات تابعة لآل سعود وإماراتية وأميركية وبريطانية. أيضاً، وعلى رغم نقل 27 مخيّماً للنازحين (من أصل 130) من محيط مأرب، خلال الأسبوعين الماضيين، إلا أن العمل على استغلال الملفّ الإنساني لوقف تقدّم قوّات صنعاء نحو مركز المحافظة، لا يزال جارياً. وفي هذا الإطار، يأتي دفع الرياض، منذ أسبوعين، بالأوراق الدبلوماسية كافة، بغية إبرام اتفاق يَحول دون سقوط المدينة.

على أيّ حال، تشي المؤشرات الأوّلية بأن مبادرة المبعوث السويدي سيكون مصيرها الفشل، إذ إن العرادة تحدّث، خلال لقائه سيمبني، عن قدرة قوّات هادي وميليشيات حزب "الإصلاح" على المواجهة. وهو ما جاء عقب تحذيرات من قبل ناشطي "الإصلاح" من التجاوُب مع المساعي السويدي، إذ عَدَ هؤلاء القبول بالمقترنات الأخيرة بمثابة ثبيت لسيطرة قوات صنعاء على أكثر من 85% من مديریات المحافظة. ووفقاً لمصادر سياسية مطلعة، فإن مقترنات سيمبني تنصّ على وقف فوري لإطلاق النار في مختلف جبهات محيط مدينة مأرب، بليله توسيع نطاق مهمات اللجنة الأممية لوقف إطلاق النار في الحديدة لتشمل حزام مأرب. وأوضحت المصادر أن البنود التي انزعج منها العرادة، أيضاً، تتعلّق بضمان إيصال المساعدات إلى كلّ مخيمات النازحين، وفتح الطريق العام الرابط بين العاصمة صنعاء ومدينة مأرب بطول 17 كيلومتراً لتسهيل مرور المواطنين، وإعادة ربط كهرباء مأرب الغازية التي تغذّي العاصمة وعدداً من المحافظات الواقعة تحت سيطرة صنعاء بـ 360 ميغاواط من الكهرباء، وتوريد إيرادات نفط وغاز منشأة "غازية مأرب" الذي سيمدّ اليمن بأكثر من 400 ميغاواط من الكهرباء، وتصنيعها لحساب رواتب موظفي الدولة وفق كشوفات عام 2014، وضمان تدفّق المشتقات النفطية من مأرب إلى المحافظات كافة.